المستشرق نولدكه وسر اهتمامه بالقرآن ومصادره

د. محمد ابوالقاسم الحضيري كلية القانون والشريعة ـ جامعة نالوت

ملخص البحث:

حاولت جاهداً إثبات أن مصدر القرآن هو الله I ، وهذا أمر نؤمن به كمسلمين. أما المستشرقون فلا يؤمنون بالمصدر الإلهي للقرآن ومصادره. بل أرجعوه إلى عوامل داخلية وخارجية ومنهم من يرى أن التشابه في القصص القرآني مع القصص اليهودي المسيحي والهدف هو تعزيز فكرة بشرية القرآن. ثم تحدثت عما سلكه الكثير من المستشرقين من الطعن في الوحي ، وجمع القرآن وتدوينه وترتيب آياته وسوره.

ثم تحدثت عن أشد المعارضين طعناً في مصدرية القرآن الكريم ، أقصد المستشرق تيودور نولدكه الذي كانت له شبهات متعددة. فقد طعن في القرآن الكريم ليس في مصادره بل في أصل القرآن. وتحدثت عن غاية المستشرقين التي تتمثل في تركيزهم على التبشير بالدين المسيحي. ووقف التمدد الإسلامي. والعمل على زرع الفتنة بين المسلمين. ثم بينت أن ذلك يسهل على المبشرين التسلل إلى النفوس الضعيفة. بذلت الجهد في سبيل الرد على تلك الطعونات التي أثارها نولدكه ومن بينها الطعن في نبوة محمد ρ. برهنت بالنص القرآني أن الذي أرسل إبراهيم وموسى وعيسى ومن سبقهم هو الذي أرسل محمداًρ خاتم النبيين بدين هو آخر الأديان السماوية. وصف نولدكه محمدρ بصفات لا تليق بقدره مثل مرض الجنون أو الصرع وربط ذلك بحالة محمدρ حين نزول الوحي عليه. كذلك شكك في الإسراء والمعراج وأرجع ذلك إلى حلم رآه محمداρ في منامه. كذلك شكك في استماع النبي ρ إلى القرآن كاملاً. ووصف محمداً بأنه يبدل ويغير كيف يشاء ، ونقصد بذلك فيما يخص الناسخ والمنسوخ.

كان على نولدكه أن يعلم أن القرآن من عند الله. وقد تحدى به قوماً هم سادة البلاغة والبيان. ولكنهم عجزوا على أن يأتوا بآية واحدة أو بعشر سور من مثله مفتريات.

ثم أيدت أقوالي بمرجعية إسلامية متمثلة في الردود على تلك الطعونان ببعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

المستشرق نولدكه

المقدمة :

القرآن كتاب الله لا يعلوه كتاب ، ولا يناصي سمته مقروء ، فهو تنزيل من رب العالمين. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ختم الله به الكتب السماوية ، وأنزله على نبي ختم به رسالات الأنبياء ، فهو دستور الخالق لجميع خلقه ، وهو حجة محمد ρ وآياته الكبرى في الدنيا والآخرة.

حاول المستشرقون التشكيك في صحة نزول القرآن ، وقدسيته وصدوره عن الله Y كل ذلك من أجل معارضته من أساسه ، بل ونقض أحكامه لغرض التدليل على بشريته.

وإذا كان المستشرقون قد عجزوا عجزاً مطلقاً عن العبث بغيره ، فإنهم أتوه من ناحية وحيه ، وجمعه وتدوينه وترتيب آياته وسوره. لكن ذلك لا يمسه ولا يطعن في مصداقيته ، بل يمس تلك العقول التي ترى الحق وتحسبه باطلاً. وترى النور وتحسبه ظلاماً. غايتهم ومقصدهم من ذلك أن يردوا المؤمنين عن دينهم حسداً لهم وحقداً عليهم. إن الشبهات التي أثارها الكثير من المستشرقين ، حول مصادر القرآن متفرقة هنا وهناك لا يجمعها مصدر علمي موحد. ومن بين المستشرقين بل ومن أشدهم طعناً في مصدرية القرآن الكريم المستشرق الألماني تيودور نولدكه الذي خصصته بالدراسة في هذا البحث.

حياته:

ولد تيودور نولدكه بمدينة (جلاسجو) عام 1863م وبنفس المدينة أنهى دراسته حتى الجامعية ، تخصص في دراسة اللغات السامية كالعبرية والعربية والأشورية بالإضافة إلى دراسة اللاهوت حتى أصبح واعظاً في إحدى الكنائس بالإسكندرية.

وبمدينة برلين واصل تعليمه الجامعي وهناك درس العربية والأشورية والأثيوبية على يد الأستاذ (إدوارد سخاو) ثم عاد إلى بلاده فأصبح مساعداً بجامعة (جلاسجو)[1].

انتشر اسمه بصورة مذهلة في الأوساط العلمية فهاهي جامعة (هارتفور) الأمريكية تعرض عليه كرسي اللغات السامية عام 1898م. وقبل أن يستلم عمله الجديد أتقن اللغة القبطية بلندن وبرلين. استقر بعد ذلك بالولايات المتحدة إلى آخر أيامه (1943م). ويبدو أنه كان متأثراً بالغزالي وفي كتابة سيرته حيث نشرها في الجمعية المشرقية الأمريكية. ومن مؤلفاته: (تاريخ القرآن ، تطور علم الكلام والفقه ، النظرية الدستورية في الإسلام ، كتاب أوجه الإسلام ، كتاب الموقف الديني والحياة الدينية في الإسلام). من أبرز اهتماماته دراسته لتاريخ المخطوطات وخاصة مخطوطات(ألف ليلة وليلة) [2].

أهمية الموضوع :

الحقيقة التي لا ريب فيها ، أن مصدر القرآن الكريم هو الله Y وأنه أنزل على قلب النبي محمد ρ عن طريق الوحي الذي نحن كمسلمين نؤمن به ونصدقه ، تصديقاً يقينياً بوسائله وطرقه ، كما أننا نؤمن إيماناً جازماً بطريقة جمع القرآن وتدوينه ، وترتيب آياته وسوره.... أما المستشرقون فلا يؤمنون بالمصدر الإلهي للقرآن الكريم ومصادره فأرجعوه إلى مصادر خارجية وداخلية ، كل ذلك من أجل معارضته والتبشير بالمسيحية. الأمر الذي يستوجب دحض أقوالهم صوناً لكتاب الله.

إشكالية البحث :

يبين القرآن الكريم الطريقة التي نزل بها على محمد ρ وهي الوحي الإلهي. ولكن كيف لنا أن نقنع الطرف الآخر المشكك في مصادر القرآن من أصلها؟ كيف لنا أن نثبت تلك الحقائق عقلاً وشرعاً؟. وهل سيقتنع المستشرقون يوماً بتلك الحقائق الدامغة لإثبات حقيقة صدق مصادر القرآن ، المتمثلة في وحييه وجمعه وتدوينه وترتيب سوره وآياته؟ وينبثق من هذه الإشكالية الأسئلة الآتية:

أ- ما السر في اهتمام نولدكه بالقرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية؟

ب- ما غايته من وراء الطعن في الوحي الإلهي خصوصاً؟ وبمصادر القرآن عموماً؟.

ج- ما أثر آراء نولدكه على بقية المستشرقين؟.

د- ما السُبل التي يجب أن نسلكها للرد على مطاعنهم؟.

أهداف البحث :

1- دحض آراء المستشرق نولدكه المشكك في حقيقة القرآن ، من حيث وحيه وجمعه وتدوينه .... شرعاً وعقلاً.

2- الرد على وصف نولدكه للقرآن بالخلط والاضطراب والزيادة والنقصان. بل والطعن في صحة النص القرآني أصلاً .

3- تفنيد آراء نولدكه حول مصادر القرآن الداخلية والخارجية ونفي بشرية القرآن بالدليل القاطع.

فرضية البحث:

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ρ بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام ، المنقول إلينا بالتواتر ، وهو آخر الكتب المنزلة ، على آخر رسول مرسل.

إلا أن هناك من المستشرقين من طعن في مصدريته ، الأمر الذي يستوجب الرد على أولئك المشككين وفي مقدمتهم نولدكه الذي شكك في مصادر القرآن بأجمعها.

تقسيمات البحث:

ينقسم هذا البحث إلى:

المبحث الأول: المستشرقون وسر اهتمامهم بالقرآن ومصادره. ويشتمل على:

المطلب الأول: التعريف بالمستشرقين وبيان أهدافهم وغاياتهم.

المطلب الثاني: سر اهتمامهم بالقرآن دون غيره من الكتب السماوية.

المبحث الثاني: رؤية المستشرق نولدكه للقرآن ومصادره.

المطلب الأول : نولدكه وطعنه في القرآن ومصادره.

المطلب الثاني: الأدلة التي استدل عليها في طعناته.

المطلب الثالث: دحض آرائه وطعوناته.

المبحث الثالث: المرجعية الإسلامية لمصادر القرآن ويشتمل على:

المطلب الأول : الدليل من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الدليل من السنة النبوية المطهرة..

المبحث الأول ـ المستشرقون وسر اهتمامهم بالقرآن ومصادره :

توطئة :

بداية لابد من التعريف بالمستشرقين،وبيان أهدافهم وغاياتهم التي سعوا لتحقيقها. تطلق كلمة الاستشراق بمفهومها الشامل ، على تلك الدراسات والأبحاث التي قام بها عدد من الكتاب الغربيين لمعرفة الشرق من جميع جوانبه. أما كلمة مستشرق فتطلق على كل من كتب عن الفكر والحضارة الإسلامية. والواجب الشرعي يحتم علينا كمسلمين التعرض لتلك الدراسات ، بأسلوب علمي حضاري بعيد عن التعصب والهوى ، لكشف تلك الأخطاء التي تعتريها ، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بعقيدة المسلمين ، المتمثلة في القرآن الكريم ومصادره. ولكن ما سبب اهتمامهم بالقرآن ومصادره؟ وما هي الأهداف والغايات التي سعوا لتحقيقها؟ هذا ما سنتعرض له في المبحث الأول.

المطلب الأول ـ التعريف بالمستشرقين وبيان أهدافهم وغاياتهم:

قبل التطرق للتعريف بالمستشرقين ، نرى من الضروري إعطاء لمحة مختصرة عن مفهوم الاستشراق.

من الصعوبة بمكان على أي باحث إعطاء تعريف محدد ونهائي لأي ظاهرة علمية ، فالعلم في تطور مستمر ، وفي كل يوم ينكشف لنا جوانب عديدة كانت مخفية ، وهذه

الظاهرة تشمل جميع العلوم تقريباً. ولهذا فإن إعطاء تعريف محدد وجامع لمفهوم الاستشراق أشبه ما يكون بالخيال. فتعريف أي شيء يتطلب بيان عناصره الأساسية التي يتكون منها ، وهذا يعني صعوبة التعريف الدقيق الجامع المانع لهذا المفهوم.

يقول ساسي بالحاج: ((ويمكن القول بأن المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه))[3].

ونجمل القول في أن الاستشراق حركة تنظيمية قام بها العديد من الباحثين الغربيين عبر مراحل متعددة في مختلف الأزمان ، والغرض الأساسي السيطرة على العرب والإسلام. وبعد ما تعرضنا في عجالة لمعنى الاستشراق فمن هو المستشرق ياترى؟

يطلق هذا اللفظ على الكثير من الكتاب والبحاث الغربيين الذين كتبوا عن الفكر والحضارة الإسلامية بجوانبها المتعددة.

يقول فاروق عمر فوزي: (أصبحت كلمة مستشرق تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله)[4]. ويصف ساسي بالحاج حقيقة المستشرق فيقول: (ولأن المستشرق في حقيقة أمره عبارة عن باحث أوربي بسبب ثقافته ، ومزاجه وطبعه ، وتكوينه الثقافي والفكري ، ولم يستطع إلا في النادر القليل تجاوز البيئة التي عاش فيها ، أو الحيدة عن أحكامها ، أو التخلص من آثارها ومعتقداتها ونظرتها للكون والحياة) [5].

أهداف الاستشراق:

من بداية القرن الثامن عشر عمل المستشرقون بكل جدية على أن تصبح أوروبا هي مركز العالم في الإشعاع الحضاري والتقدم العلمي ، وهذا يتطلب أن تسيطر أوروبا وتفرض نفسها ، هذا هو الهدف الأسمى الذي تسعى إليه الحضارة الغربية وقتها. يقول أرولد توينبي :(جُمع العلم الإنساني كله في مجتمع كبير ، والسيطرة على كل شيء فوق هذه الأرض وفي البحار والأجواء ، التي ستصل إلى الإنسانية عن طريق التقنية الغربية الحديثة ، وهذا يعني أن الأوربيين سيقومون بدور الوسيط للتقدم العلمي)[6].

ويرى الباحث أن هناك أهدافاً أخرى من بينها غزو العالم من أجل السيطرة الاقتصادية وكذلك تدمير الحضارات القديمة بجميع معالمها. ومن ثم يعمم النموذج الأوربي الحضاري الجديد كبديل عن تلك الحضارات التي سادت العالم. ولعل من الأهداف الكبرى استبعاد كل ما يرمز للعرب من قيم وأخلاق ومعالم حضارية بارزة. وهدفهم من ذلك هو دمج الوطن العربي في الحضارة الأوربية الجديدة. وبذلك يسهل على الأوربيين استعمار الوطن العربي فهو هدفهم الأول والأخير.

غاية المستشرقين :

من خلال الاطلاع على كتابات وأبحاث المستشرقين ، يمكن أن نجمل الغايات التي سعوا لتحقيقها في النقاط الآتية:

أ- رد المسلمين عن دينهم بزرع بذور الشك في مصدر عقيدتهم المتمثل في القرآن الكريم ومصادره.

ب- التبشير بالدين المسيحي ، انتقاماً من تلك الفتوحات والانتصارات التي حدثت مع بداية فجر الإسلام. فالاستشراق في حقيقته هو نوع من أنواع التبشير.

ج- وقف التمدد الإسلامي ، ومحاربة اعتناق الدين الإسلامي بكل الوسائل والسبل ومنها الحملات العسكرية.

د- العمل على زرع بذور الفتنة والنزاعات بين أتباع الدين الواحد ، وبذلك يسهل على المبشرين التسلل إلى النفوس الضعيفة لترك دينهم.

ومع كل هذه الوسائل التي استخدمها رجال الكنيسة مع المبشرين عجزوا عجزاً مطلقاً عن محاربة هذا الدين القويم. فلجأوا إلى المكر والخديعة فأظهروا اهتماماً واضحاً بالقرآن الكريم ، ليس محبة فيه ولكن من أجل التشكيك في مصادره.

المطلب الثاني ـ سر اهتمامهم بالقرآن دون غيره من الكتب السماوية:

حظي القرآن الكريم ، بوصفه أثراً مهماً في تراث الإسلام والمسلمين ، باهتمام بالغ من قبل المستشرقين. وهذا أكسبه طابعاً مميزاً لدى الباحثين. بالرغم من أن معيار التقييم الأساسي ظل مقارنة القرآن بكتابي التوراة والإنجيل. مع العلم أن الأخيرين قد حدث فيهما التبديل والتغيير والتزوير والتحريف. وهذا بعكس القرآن الكريم ، الذي يتمتع باستقلالية مميزة ذات طابع خاص. وهذا رأي الكثير من المستشرقين ، بل هناك من ينظر إلى النبي محمد ρ بنظرة تقدير واحترام. وأن هذا الكتاب الذي أتي به ، لابد أن يكون قد استقر من نهل عظيم. ومن المستشرقين من دافع عن القرآن ومصادره ، ليس حباً فيه ولكن وسيلة لغاية أبعد من ذلك ، وهي كدس السم وسط العسل.

سعى المستشرقون لتحقيق أهدافهم بوسائل متعددة فاتخذت الطابع الديني ، بالدرجة الأولى ، والاقتصادي والسياسي والاستعماري بالدرجة الثانية. عملوا على التشكيك في صحة الدين الإسلامي والطعن في نبوة محمد ρ والقرآن في نظرهم ليس كتاباً سماوياً من عند الله ، بل هو من تأليف محمد ρ وبعض من الصحابة المقربين ، بل تطاولوا أكثر من ذلك. ومن بين أولئك المشككين كارل برو كلمان حيث قال:(إن النبي محمدا اقتبس

عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية ، وإنما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية وهكذا اتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة) [7].

وممن تأثر بآراء نولدكه غريستان لوبون حيث يقول :(وإذا أرجعنا القرآن إلى أصوله أمكننا عد الإسلام صورة مختصرة من النصرانية)[8]. بل قالوا أكثر من ذلك بوصفهم الرسول الكريم ρ بصفات لا تليق بسيد الكونين ومنها: إرجاع ظاهرة الوحي إلى مرض نفسي ، ونفيهم القاطع الاتصال الخفي بين النبي ρ وربه ، بل تطاولوا أكثر حينما قالوا: إن محمداً مصاب بمرض الصرع في وصفهم لحال النبي ρ حين تلقي الوحي ونزول الملك جبريل بالقرآن العظيم وتلاوته على محمد ρ.

فهذا هو حال المستشرقين عند التعرض للدراسات الإسلامية فإنهم ينكرون عقيدة التوحيد بتاتاً ، إن الشبهات التي أثارها الكثير من المستشرقين ، وفي مقدمتهم نولدكه حول مصادر القرآن المتفرقة هنا وهناك ، لا يجمعها مصدر علمي موحد. والواجب الديني والأخلاقي يحتم علينا بيان ودحض تلك الشبهات والرد عليها. فالمؤمن الحق الذي آمن بالله رباً وبمحمد ρ نبياً ورسولاً وبالقرآن شرعة ومنهاجاً إيمانه يزداد كلما تدبر وتمحص بعقله وقلبه ، ناظراً إلى آيات هذا الكون العجيب بعين المنصف لا المزايد ، وحاكماً بعقله وقلبه المحايد لا المكايد، لا يتأثر بآراء المستشرقين المشككين والطاعنين في صدق القرآن ومصادره. ونحن أتباع الإسلام يحتم الواجب الشرعي علينا الرد على كل من تسول له نفسه الشريرة المساس بكتاب الله ومصادره ونرد على الذين طعنوا في ألوهية القرآن ، بقول الله تعالى: ((أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً))[9]. وقوله Y: ((أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون..... _ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين))[10]. وقد فاتهم أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد تعهد الله بحفظه من التبديل والتغيير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فقال سبحانه وتعالى: ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[11].

أما الذين طعنوا في قدمه ، فنقول إنه مصدر الكتب السماوية السابقة جميعها ، بل يعتبر مصدقاً لتلك الكتب. هو ميزان لمعرفة صدق تعاليمها. قال تعالى: ((وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه))[12]. ليس هذا فحسب ، بل إن القرآن الكريم أنبأ أن التوراة والإنجيل بشرا بهذا الكتاب المنير وذلك الرسول الكريم ، قال تعالى: ((وأنه لفي زُبر الأولين _ أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل))[13]. وقال تعالى على لسان عيسى عليه السلام : ((ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد))[14]. وقوله جل في علاه: ((قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى

نوراً وهدى للناس ...))[15]. إن المسلمين لا يفرقون بين الأنبياء والرسل بل يؤمنون بهم وبما أنزل عليهم من الحق. قال تعالى: ((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله...))[16]. فشريعة الإسلام هي آخر الشرائع ومحمد ρ آخر الأنبياء والرسل ، والقرآن آخر الكتب المنزلة. قال تعالى:((إن الدين عند الله الإسلام))[17]. وقوله تعالى:((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون))[18].

المبحث الثاني ـ رؤية نولدكه للقرآن ومصادره :

المطلب الأول ـ نولدكه وطعنه في القرآن ومصادره :

يعتبر نولدكه من أشد المعارضين لمصادر القرآن. ألف كتاباً سماه "تاريخ القرآن" وهو من عدة أجزاء وفي الحقيقة لم يكن عنوان الكتاب يوافق ما بداخله فهو مليء بالطعونات وخاصة في مصداقية القرآن الكريم. طعن نولدكه في الوحي وجمع القرآن وتدوينه وترتيب سوره... ، قائلاً : (إن المصدر الرئيسي للوحي الذي أنزل على النبي حرفياً بحسب إيمان المسلمين البسيط وبحسب اعتقاد القررون الوسطى وبعض المعاصرين ، هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية. وتعاليم محمد جلها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها. لهذا لا لزوم للتعليم لكشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن ، لا بل الكثير من التعاليم والفروض ذات أصل يهودي. أما تأثير الإنجيل على القرآن فهو دون ذلك بكثير)[19].

ومن طعوناته في الوحي ـ أيضاً ـ قوله: (أعلن محمد أنه يتلقى الوحي من "الروح" "روح القدس" الذي اعتبره ملكاً وسماه في السور المدنية "جبريل" لكن هذا لم يحدث بالشكل نفسه دائماً)[20].

ويتحدث عن حالة محمد ρ أثناء نزول الوحي قائلاً: (يروى أن محمداً كثيراً ما اعترته نوبة شديدة لدى تلقيه الوحي ، حتى أن الزبد كان يطفو على فمه ، وكان يخفض رأسه ويشحب وجهه أو يشتد احمراراً ؛ ويتصبب جبينه عرقاً في أيام الشتاء إلى آخر هذه النوبة. يحاول أن يربط بين نزول الوحي وما يحدث لمحمد وقتها وبين مرض الجنون فيقول: (وبما أن العرب شأنهم في ذلك شأن كل الشعوب القديمة ، كانوا يعتبرون من كانت تعتريه حالات كهذه مجنوناً ، لذا يبدو أن محمداً الذي كان يشاركهم في البداية هذا الاعتقاد ، رأى لاحقاً فيما كان يغشاه تأثيراً خاصاً عليه من الإله الحقيقي الواحد. وقد تكاثر على الأرجح عدد النوبات من بعد مبعثه نبياً خاصة في الفترة الأولى التي كانت نفسه فيها خاضعة لإثار ة شديدة)[21].

ويشكك في الإسراء والمعراج ويصفه بأنه مجرد حلم انتاب محمداً ρ قائلاً:(هذا الوضع الجسدي والنفسي المضطرب إلى درجة المرض يفسر الأحلام والرؤى التي رفعته فوق مستوى العلاقات البشرية المعتادة. ولعل أشهر ما يذكر في هذا الصدد الإسراء والمعراج الذي كان مجرد حلم ، ... ولا يجوز أن نغفل على أن معظم الوحي حدث ليلاً كما يبدو ، حين تكون النفس أكثر قابلية لاستقبال التخيلات والانطباعات النفسية عما هي عليه في وضح النهار)[22].

ويشكك في استماع محمدρ للقرآن كاملاً فيقول: (... لكن حتى القارئ العابر سيرى بسهولة أنه ليس من الممكن أن يكون القرآن كله قد نشأ في أرفع درجات الوجد. ثمة مراحل شتى تنتقل فيها النفس من الغيبوبة إلى التأمل البسيط المقصود. ولم يستطع محمد في أثناء التوازن النفسي الشديد أن يستمع إلى أجزاء كاملة من القرآن ، بل إلى كلمات وأفكار مقروءة فقط) [23].

ونرد على مطاعن نولدكه بما ورد في قوله تعالى: ((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيئين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبوراً)) [24]. فيا ترى كيف علم محمد بأسماء هؤلاء الرسل وهو رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب لولا الوحي الذي أنزل عليه! زد على ذلك تلك الصفات الحميدة التي عُرف بها قبل البعثة ، ومنها الصدق والأمانة والخلق الفاضل. يقول ساسي بالحاج : (ونحن كمسلمين نعتقد الوحي الإلهي ونسلم به وبأساليبه ، ونؤمن كذلك بالاتصالات الروحية بالملكوت الأعلى ، واستمداد معارفنا من الله عن طريق ليست مألوفة لدينا. ولكننا لا نستطيع إثبات هذه الأمور باستخدام العقل والحواس لوحدهما وإنما يجب علينا التسليم بها باعتبارها مسائل اعتقاديه غيبية ، ليست خاضعة لمناهج المستشرقين المتصفة بالمادية ، والتي تعترف بالقضايا الغيبية)[25]. ونختم قولنا بهذا الخصوص بأن الوحي لا يتنزل إلا على الصادقين ، ممن اصطفى الله من خلقه.

ومثل ما طعن في مصداقية الوحي ، كان له طعونات في جمع القرآن وكتابته وتدوينه وترتيب آياته وسوره. وإجمالاً طعن في مصداقية القرآن. شكك كثيراً وبعديد الوسائل في كتابة القرآن بعد جمعه. وردد ما تناوله أحد المستشرقين ، وهو بلاشير الذي قال مبيناً أهمية كتابة القرآن ، إن (بدء كتابة القرآن قد أصبحت ضرورة بعد هجرة الرسول من مكة إلى المدينة فدون القرآن على العسب ، واللحاف ، والرقاع ... ويرى أن جمع القرآن بهذه الطريقة قد خلف العديد من المشاكل ؛ لأن التدوين لم يكن صحيحاً

تماماً فسقطت آيات كثيرة منه ، يضاف إلى ذلك أن أدوات الكتابة وما كان مكتوباً عليها قديم بدون ضبط أو نظام بل وقد ضاع بعض منها)[26]. وبالتمعن فيما قاله يمكننا أن نجمل طعونه في النقاط التالية:

1. يقول أن الصحابة حفظوا مقاطع قصيرة لتلاوة الصلوات ويعلل ذلك بقوله: (كان هناك الحفظ في الذاكرة في وقت كان القراءة والكتابة من الفنون النادرة ذات أهمية كبيرة. اضافة إلى العدد غير القليل من الصحابة الذين حفظوا غيباً مقاطع قصيرة بقدر ما كان هذا ضرورياً لتلاوة الصلوات كان هناك أفراد استطاعوا أن يشحنوا ذاكرتهم بمقاطع أطول ويتلوها بأمانة الكتاب وبهذا استطاعوا أن يحفظوا جزءاً من الوحي ، لم يدون نصه أبداً أو ضاع في ظروف معينة ، من الفقدان التام)[27].
2. ويشكك في جمع القرآن كاملاً بقوله: (ذلك أن رسول الله استدعي بشكل مفاجئ وغير متوقع من المسرح الأرضي. وإذا كانت إحدى الروايات التي تعود إلى زيد بن ثابت تدعي أن القرآن في تلك الفترة ، لم يكن قد جمع أبداً) [28].
3. ومن طعوناته قوله : (في مواضع أخرى هناك تفاصيل مختلفة حول الطريقة التي عمل بها عمر في الجمع الأول. كدافع بيديه العمل بذكر مصدر متأخر أنه سأل مرة عن آية قرآنية فأتاه الجواب بأن حافظ هذه الآية سقط في معركة اليمامة)[29].
4. أما بخصوص تدوين القرآن يفسر ما جاء في سورة القيامة الآيات (16 ، 17 ، 18) وهي قول الله تعالى: ((لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه _ فإذا قرآناه فاتبع قرآنه _ ثم إنا علينا بيانه _))[30]. بقوله: (ثمة دعوة في سورة القيامة من الله لمحمد لئلا يستعجل تدوين القرآن ، بل يترك المجال لنفسه ، لعله يريد تغيير النص في لحظة سكينة)[31].
5. ومن أشد المطاعن قوله: (... يلجأ محمد في المدينة إلى توسيع آيات سابقة إضافات صغيرة أو استطرادات ، أو حتى يستبدلها بنص جديد ذي مضمون مختلف أو يلغيها. كان يلجأ لهذا لكي يرخي القيود التي وضعها ، من خلال الآيات المثبتة بالكتابة ، حول حريته النبوية دون انتباه)[32]. ويطعن في ذاكرة محمد ρ بقوله : (رغم الأهمية التي يعطيها محمد للتدوين ، لا يمكننا أن نتوقع مقدراً كبيراً من الكمال أو أمانة حرفية ، أقل في مكة ، حيث كان صراعه لكسب اعتراف الناس به مرسلاً من عند الله صراع حياة أو موت ، بسبب الظروف الخارجية الضاغطة ، بقي التدوين حتى ولو كان في نية محمد منذ البداية ، مجرد لأكثر من مرة. ولكن ، في وقت مبكر كان كل شيء يحفظ في الذاكرة التي كانت تخون النبي في بعض الأحيان)[33].

وبخصوص ترتيب السور كانت طعوناته موجهة لتكرار الآيات حيث قال: (إن محمداً الذي لم يتحرج من تكرار الآيات وتعديل مواضعها في المقاطع القرآنية أو نسخها بحسب تبدل الظروف ، وغالباً ما راعى في عمله الظروف الراهنة لم يهتم بترتيب السور ترتيباً محكماً بحسب تأليفها أو مضمونها. لكن لا يجوز لنا أن لومه على ذلك)[34].

ويفسر نولدكه آية النسخ في قوله تعالى: ((ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير))[35]. بتفسير لا يقبله العقل السليم. فهو يفسر آية النسخ تلك بأنها تعويض لمحمد على نسيانه لبعض الآيات. حيث قال : (... ولكن في وقت مبكر كان كل شيء يحفظ في الذاكرة التي كانت تخون النبي في بعض الأحيان. لهذا نراه في سورة البقرة الآية 106 يعزي المؤمنين بقوله إن الله سوف يمنحهم بدل كل آية ذهبت ضحية النسيان أية أفضل)[36]. فصل نولدكه ترتيب السور حسب هواه ، فقد تحدث عن ترتيب السور التي نظمها علي بعد موت محمد بحسب اليعقوبي ، الذي قسمها إلى سبع مجموعات ، ثم يقول: (حتى لو سقطت بعض السور سهواً في الرواية المذكورة (سورة الفاتحة – الرعد – سبأ – محمد – الماعون) فإن مبدأ الترتيب يبقى واضحاً تماماً. فهو يقوم على توليف فريد لترتيب النسخة الرسمية مع مقاطع أجزاء للقراءة)[37]. ويصف النص القرآني بصفة ما كان يجب أن يتفوه بها بقوله: (... فثمة هنا في كل من الأقسام السبعة جمع لعدد محدد (16 -17) من السور المنتقاة لم يتم هذا الاختيار على نحو عبثي ، فكل من الأقسام السبعة يبدأ بسورة ذات عدد صغير في الترتيب الرسمي تليها أعداد متزايدة من كل عقد باستثناءات صغيرة ، مردها على الأرجح إلى فساد في النص)[38].

ولضيق المقام فإن الرد على مطاعن نولدكه بهذا الخصوص ، سيكون مختصراً متمثلاً في الآتي:

- كان النبيρ يردد في صدره كل ما يتنزل به الوحي حتى يحفظه.
- بنص القرآن كان النبي يستعجل حفظ ما ينزل ، مخافة أن يضيع شيء منه حتى طمأنه ربه بحفظه واستظهاره.
- كان النبي ρ يتلو كل آية نزلت عليه على المسلمين ليحفظوها في صدورهم وكانت المنافسة بينهم شديدة.
- يتسابق المسلمون فيما بينهم بتلاوة القرآن ، في الصلوات الخمس وقيام الليل والتهجد.
- كانت الذاكرة وقتها هي الأساس لحفظ الأشعار والأمثال وغيرها.

- وعندما لحق الرسول ρ بالرفيق الأعلى أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر بجمع القرآن في مصحف واحد خاصة بعد مقتل عدد من القراء يوم اليمامة.

المطلب الثاني ـ الأدلة التي استند عليها في طعوناته :

وبعد ما أوردنا تلك الطعونات التي أوردها نولدكه ، والتي حسب رأيي لم يكن منصفاً فيها نقول : كان يجب عليه أن يتبع الحياد المطلق ، وألا يصدر أحكاماً مسبقة وأن يحسن النية في تحليلاته. كان عليه أن يتحلى بالموضوعية العلمية التي من أساسها الصدق والأمانة. فالقرآن الذي طعن وشكك فيه وفي مصادره. تحدى الله به قوماً هم أهل فصاحة وبلاغة وبيان ، للإتيان ولو بسورة واحدة من مثله. فما استطاعوا فكيف بقوم كانوا سادة في علم البيان والخطابة ، وقول الشعر والفصاحة وهذه الصفات بشهادة غيرهم. أن يعجزوا ويظهر عجزهم على الإتيان بجزء بسيط من هذا الكتاب المعجز ؛ أليس في هذا الدليل القاطع على صدق ما جاء به محمدρ ؟ وسنتعرض لبعض الأدلة التي استند عليها في طعوناته.

أولاً ـ في إنكاره للوحي علل ذلك بأن الملك روح القدس ، لم يكن نزوله دائماً على الهيئة نفسها.

ثانياًـ فيما يخص جمع القرآن انكر جمعه كاملاً وعلل ذلك بأن القراءة والكتابة كانت وقتها نادرة.

ثالثاًـ أما فيما يخص ترتيب السور ، فقد وقف منها موقف المشكك والسبب في رأيه راجع إلى أن القرآن نزل على فترتين ما قبل الهجرة وما بعدها. وهذا في تقديره عامل مهماً في ضياع أو نسيان بعض الآيات والسور.

رابعاً ـ طعن في ترتيب طوال السور وأقصرها مبيناً سبب ذلك بأن خطاب القرآن يقفز على العموم كثيراً من موضوع لآخر ، إلى درجة أن ترابط المعاني بعضها ببعض لا يتجلى دائماً للعيان.

خامساً ـ أنكر النسخ وأرجعه إلى أن الله أعطى حرية تامة لمحمد ρ أن يبدل ويغير الآيات كيف ما يشاء.

سادساً ـ ومن الحجج التي استند عليها أن أكثر قصص الأنبياء الواردة في القرآن وبعض التعاليم والفروض لها مرجعية يهودية.

هذه هي أهم المطاعن التي استند عليها المستشرق نولدكه الأمر الذي يستلزم الرد عليها ودحضها بالدليل والبرهان وهذا ما سنتناوله في المطلب الثالث.

المطلب الثالث ــ دحض آراء نولدكه:

ذكرت في هذا البحث أن غرض المستشرقين من التشكيك في القرآن الكريم ومصادره ، هو حقدهم الدفين على هذا الدين الذي يزداد انتشاراً يوماً بعد يوم. وأن فشل الحملات التبشيرية التي اتخذت أساليب مختلفة في رد المسلمين عن دينهم. وغيرها من العوامل هي من أهم الأسباب التي جعلتهم يشككون في كل ما له علاقة بالدين الإسلامي. الأمر الذي يستوجب الرد على تلك الأقوال التي ذكرها أحدهم والمعني بالدراسة في البحث ونعني به المستشرق نولدكه. على أن دحض تلك الافتراءات سيكون مختصراً جداً.

أولاً ــ لإثبات حقيقة الوحي نقول : من عظمة الله وقدرته اختلاف طرق الوحي لمن اختارهم لهذه المهمة. فمنهم من كلمه الله مباشرة كما حدث بين الله Y وبين سيدنا إبراهيم ومواسى عليهما السلام.

ثانياً ــ وقد يكون الوحي إلهاماً يقذفه الله في قلب من يختاره من الأصفياء.

ثالثاً ــ ومنه ما يعرف بالرؤيا الصادقة ثم يتحقق بعدها ما رآه.

رابعاً ــ ومنه ما يكون بواسطة من الوسائط كإرسال الله لجبريل بالوحي إلى محمد ρ. (نزل به الروح الأمين _ على قلبك لتكون من المنذرين_ بلسان عربي مبين))[39].

- فيما يخص إنكاره لجمع القرآن وتعليله لذلك بندرة القراءة والكتابة. نذكره بما يتمتع به العربي من صفاء الذهن وقوة الذاكرة. وهذا بشهادة غيرهم من الأمم ، فالعربي أكثر الناس حفظاً للأسعار والأمثال والخطب ، فإذا كان هذا حال العامة. فما بالك بالذي اختاره الله واصطفاه عن غيره.
- أما تشكيكه في تكرار بعض الآيات ، فالرد عليه سهل وميسر ، فمن درس اللغة العربية وتمعن في فنونها البلاغية سيصل إلى الحقيقة الدامغة أنه لا تكرار في القرآن على الإطلاق. فقد تتشابه الألفاظ والمعنى يختلف.
- أما بخصوص طول السور وقصرها فعليه أن يعلم أن القرآن نزل حسب الحوادث. ومصدر القرآن هو الله جل جلاله فلا فرق بين أطولها وأقصرها.
- أما الرد على طعنه في النسخ فنقول: الله الذي تحدى بالقرآن عظماء العرب في فنون البلاغة والفصاحة ، بأن يأتوا بسورة واحدة ، قادر على نسخ آية مكان آيه. ذلك راجع ؛ لأن الله رؤوف بعباده لا يحملهم ما لا يطيقون. نريد في هذا البحث أن نؤكد على دحض تلك الطعونات التي أوردها نولدكه بالمرجعية الإسلامية. ونقصد بذلك

الاستدلال ببعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، لنؤكد على صدق القرآن ومصادره ، وهذا ما سنتناوله في المبحث الثالث.

المبحث الثالث ـ المرجعية الإسلامية لمصادر القرآن :

المطلب الأول ـ الدليل من القرآن الكريم:

تحدى القرآن أرباب البلاغة والبيان ، وقت نزوله فيعترفون بعجزهم عن الإتيان بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا كما أدركوا أن هذه البلاغة لا يمكن لبشر أن يأتي بمثلها. تلك البلاغة التي كانت سبباً في إيمان الكثير من المشركين. فقد سمع أبوذر الغفاري القرآن فآمن ، وسمعه أخوه أنيس فأذعن للحق ، وسمعه جبير بن مطعم فآمن. وسمعه عمر بن الخطاب فدخل الإيمان قلبه فبل أذنيه ، فانخلع قلبه من الكفر إلى إيمان. لقد تجلت معجزة القرآن بشكلها البلاغي البديع لتناسب زمن البلاغة والشعر والفصاحة . وهذا وغيره كان لهما الأثر العظيم في هداية الناس لشريعة الإسلام. وفي هذا المبحث سنرد على تلك الطعونات التي استند المستشرق الألماني تيودور نولدكه إليها ، ببعض النصوص القرآنية ، وبعض الأحاديث النبوية.

في رد على اليهود المشككين بحقيقة الوحي ونزوله على محمد ρ قال تعالى: ((قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين))[40]. ومن المشركين من ادعى بهتاناً على مصداقية الوحي بقولهم: (ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد نبي الله موسى. فأنزل الله قوله: ((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا))[41]. أليس في ذكر هذا العدد من المرسلين الدليل الكافي لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ؟ واختص الله موسى عليه السلام بقوله: ((وكلم الله موسى تكليما))[42]. ويسمي الله ملك الوحي أحياناً روح القدس في مثل قوله تعالى: ((قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدىً وبشرى للمسلمين))[43]. وفي موضع آخر يقول تعالى: ((وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحيا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً))[44]. ودائماً نقول إن أصحاب الفتن والتشكيك في القرآن الكريم هم اليهود بالدرجة الأولى. وسؤالهم عن الروح لم يتوقف. ولكن الله فاضح أمرهم على مر الأوقات والأزمان. ففي قوله تعالى: ((ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً))[45]. وفي هذا الرد الكافي على تشكيكهم. ويتحدث محمد ρ عن نفسه البشرية ، ولكن الله اصطفاه وميزه بهذا الوحي. في وقوله تعالى: ((قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله

واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا))[46]. وتظهر للمتمعن والمدقق في كتاب الله ، عظمة الله وقدرته. فمرة يرسل الوحي على هيئة ملك ومرة يرسله على هيئة بشر. كما حدث مع مريم البتول عندما بشرها في قوله تعالى: ((فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا))[47]. وهذه أم موسى يوحي الله ما أوحاه فقال تعالى: ((إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى))[48]. ((إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى))[49]. ويفصل الله تعالى نزول الوحي ، مبيناً أن الذي ينزل على محمد ρهو أيضاً نزل على من قبله من الرسل ويذكر نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم فقال عز من قائل: ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى...))[50]. ويفصل I وجوه الوحي أكثر في قوله تعالى: ((وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم))[51]. ويزكي I رسوله محمداً ρ بقوله Y: ((وما ينطق عن الهوى _ إن هو إلا وحي يوحى))[52]. ومثل ما تأثر البشر بالقرآن الكريم ، ودخل إلى نفوسهم وآمنوا به. جرى هذا الحال أيضاً على عالم الجن شأنه شأن الإنس حيث قال رب العزة والجلال: ((قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً))[53].

هذه بعض الأدلة التي تثبت صحة الوحي ، وأنه منزل من عند الله على رسوله النبي العربي الصادق الأمين. أما عن جمع القرآن وحفظه من التغيير والتبديل فقد وردت نصوص كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ((لا تحرك به لسانك لتعجل به _ إنا علينا جمعه وقرآنه _ فإذا قرآناه فاتبع قرآنه _ ثم إن علينا بيانه))[54]. والدليل على حفظه قوله تعالى: ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[55]. أما الدليل على كتابة الوحي من الله Y لنبيه محمد ρ وفي إشارة من الله على أنه جمع هذا القرآن في قلب محمد أولاً ثم في صدور أصحابه. جاء قوله تعالى: ((ومن أظلم ممن افترى على كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوحى إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله))[56]. وهذا دليل قاطع على حفظ الله لكتابه وهو دليل قطعي لا شك فيه. ففي قوله تعالى: ((بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ))[57]. الدليل الكافي على حفظ كتابه من التبديل والتغيير. ويؤكد ρ أنه لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه وفي ذلك يقول الباري Y : ((قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي أن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم))[58].

ترتيب السور:

جاءت روايات متعددة على ترتيب السور والذي يهمنا هنا هو إجماع الأمة الإسلامية على أن ترتيب السور قد رُتبت بتنزيل من الله Y فكانت الآية إذا نزلت يأمر ρ كاتبه وأصحابه بأن يضعوها في موضع كذا من سورة كذا فتكوّن مع الآية التي سبقتها نسقاً هو روعة في البيان. وأن الآيات المكية توضع في السور المكية والمدنية في السور المدنية ، ويستثنى من بعض الآيات المدنية التي وضعت في سور مكية ، أما ترتيب السور فإن المصحف الإمام كان على هذا الترتيب وهذا ما رآه زيد بن ثابت ووافق عليه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما.

إن ما ذهب إليه نولدكه (من أن ترتيب سور القرآن الكريم بطريقة ما في المصحف الشريف مشكوك في صحته ، وأن ما قام به من إعادة ترتيب سور القرآن على حسب الموضوعات وما حوى القرآن من إطناب وإيجاز ، وخبر وإنشاء وما نزل بمكة والمدينة والأحوال السياسية والاجتماعية التي عالجها القرآن ... جعله ثلاث مراتب)[59]. المرتبة الأولى على حسب التنزلات المكية والمدنية ، والمرتبة الثانية على حسب الأحوال السياسية والاجتماعية ، والمرتبة الثالثة ؛ تضم الأحكام والعبادات. (وهذا بالطبع لا يتوافق وإجماع الصحابة ومن بعدهم على أن ترتيب الآيات في المصحف توفيقي)[60]. ونختم قولنا بهذا الصدد فنقول: علينا التأسي بصحابة رسول الله ρ فهم أعمق الأمة علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأحسنهم حالاً ، اختارهم الله لصحبة رسوله ، فنقلوا عنه أصدق الحديث. ولا شك في أن المصحف الإمام هو الذي يمثل العرضة الأخيرة للقرآن الكريم على رسوله ρ وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المطلب الثاني ـ الدليل من السنة النبوية المطهرة :

والسنة هي ما أوثر عن النبيρ سواء السنة القولية أو الفعلية أو التقريرية وهي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم ، والإيمان بها وتطبيقها من شروط الإيمان قال تعالى: ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا))[61]. وهنا نبين حقيقة مفادها: لو كان القول قولاً واحداً لقيام الدليل القاطع عليه في نصوص الشريعة بأكملها. لوقع الحرج فجاءت السنة مبينة ومفصلة لنصوص القرآن الكريم ، وهي بدون شك جزء من الوحي. قال تعالى: ((والنجم إذا هوى _ ما ضل صاحبكم وما غوى _ وما ينطق عن الهوى_ إن هو إلا وحي يوحى_علمه شديد القوى))[62]. ونظراً للمكانة السامية التي تحتلها السنة كمصدر من مصادر التشريع في نفوس المسلمين تعرضت لصور عديدة من التخريب

والوضع عليها ، فقد أصبح التفريق بين الصحيح والموضوع أمراً بالغ الصعوبة. لهذا وغيره قسمها العلماء إلى:

السنة المتوارة ، والسنة المشهورة ، وسنة الآحاد. والذي يهمنا هنا هو الدليل من السنة على صدق مصادر القرآن الكريم ، وسنتعرض في هذا المطلب لذكر بعض الأحاديث مختصراً القول قدر الإمكان.

الحديث الأول:((عن أنس بن مالك أن الله Y تابع الوحي على سول الله ρ قبل وفاته حتى توفي ، وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول اللهρ))[63].

الحديث الثاني:((سئل رسول الله ρ فقالوا يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقالρ: "أحياناً يأتي مثل صلصلة الجرس. وهذا أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنهما قال ،وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعرف ما يقول".قالت عائشة:"ولقد رأيته يتنزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً"))[64].

الحديث الثالث: ((عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "أول ما بدأ به رسول اللهρ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلا ، وكان يخلو بغار حراء"))[65].

الحديث الرابع: ((قال جابر بن عبدالله الأنصاري ، وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه ، أن رسول اللهρ قال:" بينما أنا أمشي ، إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ففزعت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني))[66].

أما ما جاء في صحيح مسلم فلا يختلف كثيراً ، عما جاء في صحيح البخاري.

الحديث الأول: ((قال عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبيρ قالت: "أول ما بدأ به رسول الله ρ من الوحي الرؤية الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلا ، فكان يخلو بغار حراء يتحدث فيه – وهو التعبد- ...))[67].

الحديث الثاني: ((... قال الزهري : وأخبرني عروة عن عائشة أنها قالت:"أول ما بدأ به رسول الله ρ من الوحي ، وساق الحديث بمثل حديث يونس ، غير أنه قال: فوالله لا يخزيك الله ابداً ، وقال: قالت خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك. والحديث الذي رواه يونس حديث طويل))[68].

الحديث الثالث: ((... قال ابن شهاب سمعت عروة بن الزبير يقول: "قالت عائشة زوج النبيρ : فرجع إلى خديجة يرتجف فؤاده واقتص الحديث بمثل حديث يونس معمر. ولم

يذكر أول حديثهما من قوله: أول ما بدأ به رسول اللهρ الرؤيا الصادقة ، وتابع يونس على قوله: فوالله لا يخزيك الله أبداً ، وذكر قول خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك))[69].

الحديث الرابع: (... عن جابر ابن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول اللهρ: سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، قال رسول الله ρ فجئثت منه فرقاً ، فرجعت فقلت زملوني زملوني ، فدثروني...))[70].

ونظراً لضيق المقام اقتصرت على ذكر بعض الأحاديث.

وأخيراً: الواجب الشرعي والأخلاقي يحتم علينا أن نثبت للمشككين أن الطعونات التي جاءوا بها لن تجدي نفعاً. فالقرآن معجز بأقصر آية. مثل ما هو معجز بأطول آية وهو معجز بأقصر سورة مثل ما هو معجز بأطول سورة. وإذا عجز البشر في عصر نزوله عن إدراك علومه وعجائبه وحكمه فتفسير ذلك أنه من عند رب السماوات العلا ولا يمكن لعقل بشري محدود أن يحيط بهذا الكتاب ، وإلى قيام الساعة. ولكن هل نحن كمسلمين ننتظر عالماً غربياً ليكشف لنا عن مصادر القرآن وعجائبه؟. وهل نترك الفرصة لمستشرق ما حتى يدرس القرآن ويفسره حسب هواه؟. الواجب يحتم على العلماء الإجلاء الاطلاع على ما يكتبه ويقوله أهل الاستشراق ، ومن ثم الرد عليهم بالدليل والبرهان. صوناً لكتاب الله من التبديل والتغيير. ودفاعاً عن الحق المبين.

الخاتمة:

منذ نشأة ما يعرف بالاستشراق وحتى يومنا هذا انصبت دراسات المستشرقين والتي لم تكن بمنجاة عن التعصب والهوى على دراسة الدين الإسلامي لاسيما القرآن الكريم ومصادره ، وقد شكك أغلبهم في صحة القرآن وقدسيته وصدوره عن الله Y. مؤكدين حسب رأيهم على بشريته.

مع علمهم أن الدين الإسلامي ، هو أعمق وأوسع من أن ينحصر في معنى إنساني معين. أنكروا ألوهية النص القرآني ، بل ونعتوه بأنه من تأليف محمد ρ وبعض أصحابه. وصفوا القرآن بالخلط والتناقض والتعارض. طعنوا في ناسخه ومنسوخه. ونسبوا ذلك لمحمدρ ليبدل ويغير حسب ما يشاء. كذلك تحدثوا عن تأثر النبي محمد ρ بالعوامل الداخلية والخارجية. فجاء القرآن حسب رأيهم خليطاً بين موروث الجاهلية من جهة ، وعلى كتاب التوراة والإنجيل من جهة ... وكان قدوة المستشرقين فى هذا المنحى تيودور

نولدكه ، صاحب كتاب تاريخ القرآن الذي اعتمد المنهج التشكيكي في مباحثه ، ووصف القرآن في بعض المواضع بأن مصادره ترجع إلى كتابات يهودية.

حاولت الرد على طعونات المستشرق نولدكه الذي خصصته بالدراسة في هذا البحث بنصوص قرآنية. وكان للسنة نصيب في بيان صحة وحقيقة الوحي الإلهي.

كذلك استعرضت أقوال نولدكه في حقيقة الوحي ، وجمع القرآن وترتيب الآيات والسور وكذلك تدوينه ، وأثبت أن تدوين القرآن بدأ قبل هجرة الرسول ρ إلى المدينة. وأن المسلمين حافظوا عليه من الضياع أو التبديل بما حفظوه في صدورهم ودونوه بأقلامهم. فالقرآن نقل إلينا بالتواتر.

وهذا يعني أنه يستحيل فيه الكذب أو التبديل أو النسيان ، ومن المعروف أن الصحابة تواتروا على نقله عن الرسول ρ ، الذي عين له كتبة يكتبون الآيات التي تنزل عليه كما هي.

وأخيراً حاولت جاهداً الرد على كل ما ذكره هذا المستشرق مفنداً تلك الادعاءات الباطلة. كاشفاً الأهداف والغايات التي سعى لتحقيقها. وهي بالطبع رد المسلمين عن دينهم والتبشير بالدين المسيحي.

المصادر والمراجع:

1 - ساسي بالحاج ، الظاهرة الاستشراقية ، د.ط ، دار المدار الإسلامية،ط2001،1م،ص22.
2 - ساسي بالحاج ، الظاهرة الاستشراقية ، مصدر سابق ، ص197-321.
3 - ساسي بالحاج ، الظاهرة الاستشراقية ، المصدر نفسه، ص
4 - فاروق عمر فوزي ، الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، ط1 ، د.ط لبنان الأهلية للنشر والتوزيع ، ص3.
5 - ساسي بالحاج ، الظاهرة الاستشراقية ، مصدر سابق ، ص166.
6 - ارنولد تويبني، الإسلام والغرب ، بيروت ، الدار العربية للطبع ، 1969م ، ص36.
7 - شوقي أبوخليل ، أصول على مواقف المستشرقين والمبشرين ، ط2 ، طرابلس ، جمعية الدعوة الإسلامية ، 1999م ، ص18.
8 - محمد فتح الله الزيادي ، الاستشراق ، اهدافه ورسائله ، ص18.
9 - سورة النساء الآية (81).
10 - سورة الطور ، الآيات (31 ، 32).
11 - سورة الحجر ، الآية (9).
12 - سورة المائدة ، الآية (48).
13 - سورة الشعراء ، الآية (196 ،197).
14 - سورة الصف ، الآية (6).
15 - سورة الأنعام ، الآية (92).
16 - سورة البقرة ، الآية (285).
17 - سورة آل عمران ، الآية (19).
18 - سورة الصف ، الآية (9).
19 - تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، دار نشر جورج ألمر هيلرسهايم ، ط1 ، بيروت ، 2004 ، ص7.
20 - تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، مصدر سابق ، ص20.
21 - تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، المصدر نفسه ، ص23.
22 - تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، المصدر نفسه ، ص24.
23 - تيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، المصدر نفسه ، ص25.
24 - سورة النساء ، الآية (162).
25 - ساسي بالحاج ، الظاهرة الاستشراقية ، مصدر سابق ، ص296.
26 - ساسي بالحاج ، الظاهرة الاستشراقية ، مصدر سابق ، ص318.
27 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ،ج2، ط8،د.ط لايبسغ ودار نشر:ديتريش، ص237.
28 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، مصدر سابق ، ص240.
29 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، المصدر نفسه ، ص240.
30 - سورة القيامة الآية (16 ،17 ، 18).
31 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، المصدر نفسه ، ص237.
32 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، المصدر نفسه ، ص238.
33 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، المصدر نفسه ، ص238.
34 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، المصدر نفسه ، ص242.

35 - سورة البقرة ، الآية (106).
36 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، مصدر سابق ، ص239.
37 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، المصدر نفسه ، ص245.
38 - تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، المصدر نفسه ، ص245.
39 - سورة الشعراء ، الآية 192-195.
40 - سورة البقرة ، الآية97.
41 - سورة النساء ، الآية 163.
42 - سورة النساء ، الآية 163
43 - سورة النحل ، الآية 102.
44 - سورة الإسراء ، الآية 73.
45 - سورة الإسراء ، الآية 85.
46 - سورة الكهف ، الآية 85.
47 - سورة مريم ، الآية 17.
48 - سورة طه ، الآية 37.
49 - سورة طه ، الآية 47.
50 - سورة الشورى ، الآية 13.
51 - سورة الشورى ، الآية 51.
52 - سورة النجم ، الآية 4،1.
53 - سورة الجن ، الآية 1.
54 - سورة القيامة ، الآية 16-19.
55 - سورة الحجر ، الآية 9.
56 - سورة الانعام ، الآية 93.
57 - سورة البروج ، الآية 22.
58 - سورة يونس ، الآية 15.
59 - محمد عبدالعظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن،طبعة عيسى الحلبي، ص:346/1.
60 - محمد عبدالله الشرقاوي ، الاستشراق في الفكر العربي المعاصر ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط:1993 ، ص88.
61 - سورة الحشر ، الآية 7.
62 - سورة النجم ، الآيات 1-5.
63 - صحيح البخاري ، حديث رقم (4982).
64 - صحيح البخاري ، حديث رقم (3).
65 - صحيح البخاري ، حديث رقم (13).
66 - صحيح البخاري ، حديث رقم (4).
67 - صحيح مسلم ، حديث رقم (160).
68 - صحيح مسلم ، حديث رقم (253).
69 - صحيح مسلم ، حديث رقم (254).
70 - صحيح مسلم ، حديث رقم (255).